

نشاط الصيد في الريف القسنطيني خلال العهد العثماني

The hunt activity in the Constantinian countryside during the Ottoman era

أحمد صاري	وهيبة بولصباغ*
جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (الجزائر)
ahsarri@hotmail.com	boulesbaa.wa@gmail.com

تاريخ القبول: 2024./03/23

تاريخ الاستلام: 2021./05./21

ملخص:

يعتبر نشاط الصيد من أهم الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية بالريف القسنطيني خلال العهد العثماني؛ فبالإضافة إلى أنه يوفر اللحوم بأنواعها للسكان فهو مورد هام لسلع تجارية نادرة كالجلود ، ريش النعام والمرجان التي تباع بأسعار باهظة باعتبارها مطلوبة لذا بلاط الداي والسلاطين العثمانيين، كما أنها تدخل ضمن لوازم الدنوش التي يتوجب على باي قسنطينة دفعها لداي الجزائر، وهنا يقوم كبار موظفي البايك باستغلال مناصبهم لتحقيق أرباح طائلة من وراء هذه التجارة.

لقد ارتأينا معالجة هذا الموضوع وفق منهج تاريخي وصفي تحليلي بغية لتسليط الضوء على جانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالريف القسنطيني خلال العهد العثماني.

كلمات مفتاحية: الصيد، باييك الشرق، العهد العثماني، المرجان، النمر.

Abstract:

The hunt was considered one of the most important social and economic activities in the Constantinian countryside during the Ottoman era. In addition to that, it provides meat of all kinds for the population it is an important resource for rare commercial goods such as leather, ostrich feathers and coral are sold at exorbitant prices, is a demand in the court of the Deys and Ottoman Sultans, it is included in the that that Bey Constantinem must pay it to the Dey of Algeria. Here, senior baylik employees use their positions to make huge profits from this trade.

To address this issue, we have chosen a historical, descriptive analytically with the aim of shedding light on an aspect of social and economic life in the Constantian countryside during the Ottoman.

Keywords:

The hunt. Baylik East. Ottoman era. Coral. Tigers.

1. مقدمة

تمثل حرفة الصيد هواية، تسلية ونشاط اقتصادي أساسي للإنسان الريفي في بايلك الشرق، إذ يعتبر مصدر للحصول على اللحوم الطبيعية التي يفضلها على لحوم الحيوانات الداجنة، كما أنه يوفر الكثير من المواد التجارية المطلوبة جدا داخل الأسواق وبأسعار مرتفعة جدا، فبالرغم من أن أرياف البايك كانت تعج بالقطعان فإن الريفيين يقبلون على نشاط الصيد بشغف كبير، لذا ارتأينا من خلال هذه الأوراق البحثية معالجة هذه الإشكالية اعتمادا على عدة مناهج منها وصفي، تحليلي ومقارن قصد تسليط الضوء على جانب من النشاط الاقتصادي والاجتماعي للبايلك، ولمعالجة الموضوع وجدنا أنفسنا أمام عدة تساؤلات: ما هي مميزات البرية في الريف القسنطيني؟ ما هي طرق الصيد وأنواع الفخاخ المستعملة حسب نوع الحيوان؟ ما هي أهمية نشاط الصيد بالنسبة للإنسان الريفي للبايلك ككل؟.

2. مميزات المجال الجغرافي للريف القسنطيني:

يعتبر بايلك الشرق من أغنى البايك في الجزائر العثمانية بحكم شساعته، تنوع موارده وتباين تضاريسه؛ أما ساحله فيمتاز برصيف قاري غني جدا وممتاز يتوفر على العديد من الموانئ الطبيعية، هذا الإقليم ينفرد بمميزات ما جعله وسط حيوي لبيئة برية متنوعة مساعدة على ازدهار نشاط الصيد، يغلب عليها الطابع الجبلي إذ تخترق الإقليم سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي بشكل عرضي، اللتان تشكّلان جدار شمالي وآخر جنوبي، تفصلهما الهضاب العليا والعديد من الأحواض والمجاري المائية⁽¹⁾، حيث نميز فيه منطقتين أساسيتين:

1.2 المنطقة التلية: تتكون من سلسلة الأطلس التلي المتاخمة للبحر تبدأ من جبال بجاية وتسير بموازاة البحر وصولا إلى عنابة⁽²⁾، تتميز هذه الجبال في قسمها الغربي بنواحي بجاية وجيجل بالتعقيد إذ تتميز هذه الجبال بالارتفاع والانحدار الشديدين⁽³⁾، وتعدد فروعها وتشعباتها في مختلف الاتجاهات⁽⁴⁾. المظهر التضاريسي لهذه السلسلة يوضح أنها معقدة ومرتفعة في قسمها الغربي حيث يزيد ارتفاعها في جبال البابور عن 2000م وتصبح أكثر وضوحًا وأقل ارتفاعا كلما اتجهنا شرق البايك⁽⁵⁾، تنخفض هذه الجبال شرق عنابة لتصبح مجرد هضاب أو مرتفعات متوسطة لا يفوق ارتفاعها

(1) حلومي عبد القادر، (1968)، جغرافية الجزائر، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقية، ط1، ص50.

(2) Shaw Tomas, (1830), Voyage dans la régence d'Alger, Paris, Merlin édition, p 326.

(3) كاريخال مارمول، (1989)، إفريقيا، ج2، بيروت، دار المعرفة للنشر، ص384.

(4) Shaw Tomas, op, cit, p 8.

(5) حلومي عبد القادر، المرجع السابق، ص49.

200م لنجد بعدها سهول واسعة ومستنقعات⁽⁶⁾. المقطع الأكثر تعقيدا يمتد من رأس العوانة إلى غاية سكيكدة تشكل كتلة شديدة الانحدارات وموحشة⁽⁷⁾. إلى الجنوب من جبال الساحل تسير بالموازاة لها من الخلف كتل جبلية ذات تكوينات حصوية تبدأ من جبال ونوغة غربا مروراً بجبال سوق أهراس وصولاً إلى غاية مجردة⁽⁸⁾، وهي جبال مشجرة مفصولة بأودية عميقة⁽⁹⁾. تستقبل هذه السلسلة الجبلية الضخمة رياح قوية تهب من الشمال الشرقي تكون محملة بأمطار غزيرة من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل⁽¹⁰⁾، هذه الاضطرابات تصطدم بجبال بابور وجبال بجاية التي تقف كحاجز طبيعي يحول دون مرورها نحو الداخل، لذا تتلقى المناطق المواجهة للساحل كميات ضخمة من الأمطار في حين تتلقى الفضاءات الخلفية كميات أقل، في حين تجد هذه الاضطرابات الجوية منفذا لها في أقصى السواحل الشرقية لبساطة التضاريس مما يسمح بتوغل الأمطار إلى المناطق الداخلية، وهذا ما جعل المجالات الخصبة بالأرياف الشرقية أكثر امتدادا من الأرياف الغربية هذه التلؤلؤ تتميز فيها منطقتين:

1.1.2 المنطقة التلية الساحلية: تنتشر هذه التلؤلؤ على سواحل البايك الغنية بالبنوك المرجانية، أحسن أنواع المرجان هو مرجان القالة يتفوق في جودته على كل المرجان المستخرج من جميع الأرصد القارية الممتدة من صقلية إلى سبتة.⁽¹¹⁾ تتلقى هذه التلؤلؤ كميات ضخمة من الأمطار يصل التساقط بها إلى 1000 ملم/ سنويا⁽¹²⁾، كل هذه المرتفعات يسودها مناخ متوسطي أو جبلي معتدل، حيث تراوح درجات الحرارة ما بين 26-32° فقط صيفا وما بين 10-15° شتاءا

(6) القشاعي فلة، السنة الجامعية (1989-1990م)، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، ص 4.

(7) Rouboult Mercel, (1934), La Kabylie de Collo (Étude Géologique), Alger, Descriptions régionales, Bulletin du service de la carte Géologique de L'Afrique , p 13.

(8) حليمي عبد القادر، المرجع السابق، ص 50.

(9) Peyssonnel et Desfontaines et Desfontaines, (1838), voyages dans les régences de Tunis et D'Alger, Paris, Librairie De Cid , p 208.

(10) Shaw Tomas, op, cit, p 9.

(11) مقيدش محمود، (1988)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص124.

(12) المدني أحمد توفيق، (1984)، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 163.

(13). الأراضي خصبة وخفيفة أجودها توجد في الأحواض وبطون الأودية ومصباتها⁽¹⁴⁾، بالإضافة إلى السهول والتلال المنفتحة على البحر مثل سهول عنابة وجيجل الأمر الذي سمح للريفيين بإقامة البساتين⁽¹⁵⁾.

على امتداد كل هذه المرتفعات والسهول تنتشر تشكيلات غابية متنوعة وكثيفة دائمة الاخضرار من أشجار الفلين والزان كثير منها بقيت عذراء⁽¹⁶⁾. في المقابل نجد الكثير من هذه الجبال التي تكسوها الغابات تتربع على قممها قرى مأهولة بالسكان الذين يجدون فيها مراتع لرعي قطعانهم⁽¹⁷⁾، يعتمدون بالدرجة الأولى على استغلال هذه الموارد الغابية كالأخشاب، المراعي والصيد⁽¹⁸⁾، حيث تعيش في هذه الغابات الكثيفة حيوانات قوية شرسة كالقروود⁽¹⁹⁾ الخنازير البرية⁽²⁰⁾، الأسود، النمور⁽²¹⁾، تتواجد في مرتفعات القل، جيجل، بجاية⁽²²⁾ وعنابة شمالا⁽²³⁾ إلى غاية بلاد الحناشة جنوبا أين تتجول عشرات القطعان⁽²⁴⁾ بالإضافة إلى أسراب ضخمة من الحجل، السمان، الحمام والزرزور التي تزور المنطقة شتاء⁽²⁵⁾ إضافة إلى الجارحة كالبازي والصقور،⁽²⁶⁾ والطرائد كالأرانب البرية والوعول⁽²⁷⁾.

(13) Aperçus historique, (1830) , Statistique et Topographique sur L'Etat D'Alger, Paris, Typographie, J. pinard imprimeur Du Roi, p 88.

(14) Shaw Tomas, op, cit, p 22.

(15) Despois Jean, (1949), L'Afrique de nord, presses universitaires de France, Paris, p 97.

(16) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 162.

(17) شالر وليام ، (بدون سنة)، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تعريب: اسماعيل العربي، سلسلة الدراسات الكبرى، ص 28.

(18) Despois Jean, op, cit, p 97.

(19) Dan Pierre, (1646), Histoire de la Barbarie et ses corsaires (Alger – Tunis Salé – Tri poly), Paris, Deuxième édition, p294.

(20) Dumas, (1853), les Mœurs et les coutumes De L'Algérie, Telle, Kabylie, Sahara, Paris, librairie De L.Hachette et Cie, p69.

(21) كاربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص110.

(22) شلوصر فندلين ،(2007). قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837م)، الجزائر. وزارة الثقافة. ص103.

(23) الوزان الحسن،(1983)، وصف إفريقيا، ج2، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ص266

(24) Dan Pierre, op, cit, p57.

(25) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص278.

(26) كاربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص111.

(27) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص268.

2.1.2 المنطقة التلية الداخلية: تقع جنوب المنطقة السابقة تمتد على شكل حزام يسير مع السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس التلي مروراً بسهول سطيف، ميلة، عين مليلة، هذه المنطقة تعتبر أقل مطراً مقارنة مع المنطقة الساحلية لوقوعها في منطقة ظل المطر، فالرياح الممطرة المارة إليها تكون قد أفرغت أغلب شحناتها على السفوح الساحلية، (28) حيث تتلقى المنطقة كميات تساقط تتراوح ما بين 400-800 ملم سنوياً وهو ما جعلها تعتمد أساساً على النشاط الزراعي والرعي (29)، فهي تصب بشكل منتظم خلال شهري أفريل وماي (30). في هذه المنطقة تتراجع التشكيلات الغابية وتظهر التوسعات الزراعية (31)، والتي يصفها كاربخال بقوله: «...سهول فسيحة في بعض الأماكن وتلال صغيرة أو هضاب كلها كثيرة المزارع والمراعي...» (32)، وقد شكلت هذه السهول مناطق جد مختلفة من حيث خصائصها المناخية فهي بيئة برية ملائمة لانتشار قطعان الأسود (33) وكذا الطرائد كالأرانب البرية (34)، الوعول والغزلان التي تكثر على هذه الأراضي. (35)

2. المنطقة الصحراوية: تختلف هذه المنطقة اختلافاً كلياً عن المنطقة التلية، إذ تتميز هذه المنطقة بالجفاف وارتفاع درجات الحرارة، تتأثر هذه المنطقة بالسلسلة الأطلس الصحراوي التي تمتد من أقصى الجنوب الغربي إلى أقصى الشمال الشرقي التي تقف كجدار طبيعي يفصل الصحراء عن التل، هذا الحاجز الطبيعي يمنع اكتساح الرمال لمناطق النجود، تبدأ هذه السلسلة في الضمور من الغرب إلى الشرق حتى تكاد تختفي عند بسكرة (36)، أين يوجد فراغ طبيعي يسمى "عتبة الصحراء" وهي ممر طبيعي بين التل والصحراء (37)، إلى الشرق من بسكرة يعود الارتفاع مجدداً، حيث تظهر كتلة الأوراس الشامخة التي تتوسط البايك جنوب قسنطينة، وتمتد جنوباً إلى واحات الزاب (38). من هذا المنطلق اتفق معظم الجغرافيون أن صحراء البايك تقع في قلب الصحراء المنخفضة عند السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي

(28) حلومي عبد القادر، المرجع السابق، ص 84.

(29) Despois Jean, op, cit, p 98.

(30) القشاعي فلة، المرجع السابق، ص 29.

(31) Despois Jean, op, cit, p 98.

(32) كاربخال مارمول، المصدر السابق، ج 1، ص 27.

(33) Dan Pierre, op. cit, p294.

(34) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص 268.

(35) شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص 103.

(36) حلومي عبد القادر، المرجع السابق، ص 55.

(37) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 163.

(38) Mercier Ernest, (1888), Histoire de l'Afrique Septentrionale de puis les temps les plus reculés jusqu'ou la conquête française 1830, Paris, p 13.

تستقبل كميات متفاوتة من المياه المنحدرة من هذه الجبال لتصب في الواحات أو مشكلة الأحواض والشطوط⁽³⁹⁾، يقول عنها كاربخال: «...تفصلها عن بلاد البربر جبال الأطلس الكبير وهي أقل اعتباراً لأنها تشمل على مفازل كبيرة جداً وأماكن قاحلة...»⁽⁴⁰⁾. وبذلك يمكن تقسيم صحراء البايك تنقسم إلى منطقتين أساسيتين هما:

1.2. منطقة السباح (السهوب): تمتد جنوب المنطقة التالية الداخلية إلى غاية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، وبذلك فإن مساحتها كبيرة تتراوح كمية الأمطار بها ما بين 200 إلى 400 ملم سنوياً، تشمل هذه المنطقة كل أراضي النجود ما عدا الشطوط، كما تشمل كل الكتل الجبلية للأطلس الصحراوي⁽⁴¹⁾. التوضع الجغرافي لهذه المنطقة ومناخها شبه الجاف جعل فترات الجفاف طويلة لذا نجد مراعي استبسية فصلية ساعدت على ازدهار النشاط الرعوي الموسمي،⁽⁴²⁾ تشمل هذه المنطقة الحضنة، القسم الجنوبي لأراضي النمامشة وأولاد عبد النور .

2.2. منطقة الواحات: تقع هذه المنطقة جنوب منطقة السباح أي جنوب جبال الأطلس الصحراوي وهي تشمل مساحة واسعة من الصحراء، وهي منطقة تقل فيها الأمطار لأقل من 200 ملم سنوياً⁽⁴³⁾، بل هي نادرة ومتذبذبة، وهذا ما جعل أغلب السكان لا يستطيعون الإقامة فيها بشكل دائم ومنظم، لذا فإنهم ينتقلون بقطعانهم من الإبل والماعز من مكان إلى آخر بحثاً عن الكأ ونقاط الماء، في حين يستقر جزء آخر بالواحات أين توجد الينابيع والآبار أهمها: واحات الزاب وواحات وادي ريغ. على امتداد هذه القفار والصحاري الشاسعة حيث تنذر المياه تتواجد أعداد ضخمة من النعام⁽⁴⁴⁾ التي يقبل السكان على اصطياها للاستفادة من لحومها، بيضها وريشها.

3. العوامل المؤدية لازدهار نشاط الصيد في الريف القسنطيني:

يعتبر الصيد من أكثر الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية شعبية في الريف القسنطيني، إذ يقبل عليه السكان باحترافية وشغف كبيرين باعتباره مصدر للحوم الطبيعية خاصة في أوقات المجاعات والأوبئة، فبالرغم من وفرة المواشي بالبايك من أبقار، ماعز، أغنام وإبل فإن استهلاك اللحم قليل، فالريفيون يعيشون عيشة معتدلة ومنظمة لا يأكلون اللحم إلا في بعض أيام الأسبوع، أو في أيام السوق فالريفيون لا يأكلون لحوم الأغنام والدواجن ولا يذبحونها إلا عندما

(39) Depois Jean, op, cit, p 69.

(40) كاربخال مارمول، المصدر السابق، ج1، ص 42.

(41) حللمي عبد القادر، المرجع السابق، ص 82.

(42) Shaw Tomas, op, cit, p 385.

(43) حللمي عبد القادر، المرجع السابق، ص 82.

(44) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج2، ص 276.

يؤمهم ضيف⁽⁴⁵⁾، بحيث أن قلة استهلاك اللحوم لذا سكان الريف يعود لمكانة الحيوان الأليف كمصدر للعيش بالنسبة للإنسان الريفى، يحصل منه على الأصواف، الألبان والزبدة، فبالإضافة إلى أنها مصدر معاشي يومي للفلاح القسنطيني، فهو حريص على الاحتفاظ بها، كما أنها تدخل ضمن الضرائب الإلزامية التي تفرضها سلطات البايك بالقوة على الفلاح القسنطيني. لذا يلجأ الإنسان القسنطيني إلى ممارسة نشاط الصيد لتوفير اللحوم الضرورية لاستهلاكه. إلا أن نشاط الصيد تتفاوت أهميته بين شمال وجنوب البايك حسب النمط المعيشي للسكان، حيث نميز منطقتين تضم عناصر سكانية مختلفة في النمط المعيشي؛ فالمنطقة الأولى هي "التل" يسكنها المزارعون المرتبطون بالأرض⁽⁴⁶⁾ أما المنطقة الثانية فهي منطقة الصحراوية يسكنها البدو، هذا التدرج من التل إلى الصحراء يعكس التباين الصارخ في الموارد بين مواطن الوفرة ومناطق الندرة الذي خلق أنماطا اقتصادية واجتماعية مختلفة؛ فوفرة الموارد بالتلول ساعدت الاستقرار ضمن مجال محدود، في حين أدت ندرة الموارد في الصحراء إلى انتشار البداوة التي تقوم على الترحال السنوي من المجالات الجنوبية الجافة نحو التلول الشمالية المطيرة؛ فالتنقلات المتواصلة والمستمرة معتبرة جدا وفقا للمواسم من أجل المراعي، الزرع، الاتجار والحصاد، كل هذه القبائل مدفوعة طبيعيا إما للحياة الزراعية الرعوية، أو الحياة البدوية أو معا⁽⁴⁷⁾. كل هذه العوامل أدت إلى تفاوت أهمية نشاط الصيد فهو نشاط كمالي لسكان التلول الغنية ونشاط أساسي للبدو بالفقار والصحاري الفقيرة، فالجبلون متمسكون بالأرض ومتعلقون بها لذا فهم يفضلون الاستقرار بالمناطق الحصينة حيث وطن مرعى الصيف ووطن الشتاء متجاورين، تمارس الرعي بالكتل المتوسطة من البايك والكتل الداخلية بالأوراس، حيث تتم التنقلات ضمن مسار ضيق جدا أين يزدهر النشاط الرعوي الغابي⁽⁴⁸⁾. هذه البيئة الجبلية الوعرة والباردة تفرض على هؤلاء السكان ممارسة الصيد الذي تزداد وتيرته شتاء لتوفير الغذاء، فبرودة هذه مراعي الغابية شتوية دفعت بالرعاة لصيد الطرائد والطيور التي تزور المنطقة شتاء في أسراب ضخمة⁽⁴⁹⁾ للحصول على الغذاء. إضافة إلى صيد الأسود، النمر والخنازير من باب التسلية واللهو واستعراض القوة أو لأغراض تجارية.

أما القبائل غير المستقرة كالقبائل السهبية النصف بدوية (رعاة المواشي) والصحراوية البدوية (الجمالة) ويتم التمييز بينهما حسب المسافة بين المرعى الشتوي والمرعى الصيفي⁽⁵⁰⁾. القبائل نصف البدوية تنتشر السهوب والسبخ، تتحرك هذه القبائل على مسارات محددة داخل أراضيها، هذه القبائل تلجأ إلى الانتجاع بين موطنها الشتوي والصيفي مثل: قبائل أولاد نايل، أولاد عبد النور، قبائل الحضنة. أما القبائل البدوية الصحراوية "الجمالة" فهي تعتمد

⁽⁴⁵⁾ بن عثمان خوجة حمدان، (1985)، المرأة، ط3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 24، 25.

⁽⁴⁶⁾ Daumas, op, cit , p 23.

⁽⁴⁷⁾ Bernard Augustine, (1921), Enquête Sur L'Habitation Rurale Des indigènes de L'Algérie, Alger imprimerie orientale Fontana frères, p84.

⁽⁴⁸⁾ Vialatte Paul, (1879), Des impôts Directs en Algérie et principalement Dans la province de Constantine, Constantine, imprimerie, L. Marle, p 8.

⁽⁴⁹⁾ الوزان الحسن: المصدر السابق، ج 2، ص 278.

⁽⁵⁰⁾ Carette et Wernier, op, cit , p 24.

على نشاط الرعي كنشاط اقتصادي أساسي، تتميز بالبعد بين المرعى الشتوي والمرعى الصيفي، أثناء هذه التنقلات السنوية الكبرى فإن هذه القبائل تستقر مؤقتاً في بطون الأودية الرطبة على نقاط الماء بعد استهلاك المراعي المنطقة تسير إلى منطقة أخرى تنتشر القبائل البدوية بقفار الزاب ووادي ريغ⁽⁵¹⁾، النمط المعيشي لهذه القبائل القائم على الترحال المستمر جعل نشاط الصيد أساسياً لذا هؤلاء البدو الذين تقوم تنقلاتهم على البحث عن الغذاء ونقاط الماء، فالمسافات الطويلة وصعوبة حمل الطعام وكذا الحرص على عدم استنفاد المؤن كلها عوامل دفعت هؤلاء إلى الاهتمام بالصيد، لذا نجد دائماً مناطق الحط المؤقت تكون بالبطون الرطبة أين تكثر قطعان الوعول وحلوق الجبال يتواجد النعام بأعداد معتبرة⁽⁵²⁾.

تميز أواخر العهد العثماني بتفاقم النمط البدوي وتزايد ظاهرة البداوة بشكل واسع في الريف القسنطيني بعد تزايد حملات جمع الضرائب عقب تراجع مداخيل القرصنة⁽⁵³⁾، الأمر الذي أدى إلى ازدياد نشاط الصيد إلى درجة أنه أصبح مورد الاقتصاد الأول للإنسان القسنطيني.

4. طرق الصيد في الريف القسنطيني:

يحترف الإنسان القسنطيني اقتناص الحيوانات، يعد من الرياضات الشعبية المفيدة والمسلية في ذات الوقت، لذا ملّم بكل أنواع الأسلحة والفخاخ المستعملة حسب نوع الحيوان:

1.4 صيد الأسود:

تعيش هذه الحيوانات في الغابات الكثيفة، وهي قوية وشرسة لكنها لا تؤذي الإنسان إلا في حالات نادرة حيث تصادف أحداً في بعض الطرق الضيقة التي لا تساعد على الفرار، النمر لا تهاجم أبداً قطعان الماشية لكنه عدو لذود للكلاب لذا فهي تقتلها وتفترسها⁽⁵⁴⁾، لذا فإن قوافل العرب عادة ما تكون مرفوقة بكلاب الحراسة التي يفضلها للنجاة من الهجمات المفاجئة للأسود الذين يتواجدون بأعداد كبيرة في نواحي عنابة⁽⁵⁵⁾، حيث تتواجد النمر والأسود بأعداد ضخمة في كل المناطق الممتدة من عنابة إلى نواحي تبسة مروراً ببلاد الحناشنة، فجمال هذه المناطق هي مسكن للأسود لذلك لا يسكنها الأهالي إلا الفارين والمطاردين من طرف الباي فليس من النادر أن تشاهد الأسود في

(51) دوماس، (2013)، الصحراء الجزائرية، ترجمة: قندوز عباد فوزية، الجزائر، دار غرناطة للنشر والتوزيع، ص 138.

(52) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص 276.

(53) فلنزي لوسات، (1980)، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790-1830م)، ترجمة: إلياس مرقص

، بيروت، دار الحقيقة، ط 1، ص 33.

(54) كاربخال مارمول، المصدر السابق، ص 110.

(55) الوزان الحسن، المصدر السابق، ص 266.

قطيع يتكون من 30 إلى 40 أسد⁽⁵⁶⁾، كما تتواجد بأعداد كبيرة في المرتفعات الشمالية للبايك بالغابات الكثيفة للقل، جيل وبجاية⁽⁵⁷⁾، لذا فإن الريفيون يقصدون هذه الأحواض والغابات الممتدة إلى غابة الباستيون لصيد هذه الحيوانات المفترسة⁽⁵⁸⁾. أثناء النهار تكون الأسود والنمور مسالمة لا تهاجم المارة والمسافرين عندما يمرون بالقرب منه فإنها تدير رأسها بعيدا، في الليل يختلف مزاج الأسد كليا إذ يصبح من الخطير جدا الدخول إلى هذه المناطق الغابية فإن حدث وإن صادف المسافر أسدا عن الطريق عليه أن يمشي على يمينه سيفه مسلول وبندقيته مرفوعة ولا يطلق النار ليحافظ علة هدوء هذا الوحش المفترس⁽⁵⁹⁾، تعتبر الأسود من أصعب الحيوانات للصيد⁽⁶⁰⁾ ويتم اصطيادها بعدة طرق أهمها:

الطريقة الأولى: هي عادة سكان جبال قسنطينة أن يصطادوا النمر على الخيل، يسدون أمامه جميع المنافذ، وعندما يحاول الفرار يجد على المنفذ عددا من الفرسان فيسرع الآخر فيجد فرسانا آخرين، ويقتل في الأخير بعد أن يجري عبثا في كل الجهات، ويفرض على كل من تركه يخلص من المكان الذي يحرسه أن يقيم وليمة لسائر الصيادين ولو بلغ عددهم ثلاثمائة صياد.⁽⁶¹⁾

الطريقة الثانية: يطوف القبائلي طيلة النهار في الجبل يحمل معه سكيناً إلى أن يجد مرقد النمر والأسد ليقوم بعد ذلك بتثبيت بندقيته جيدا ليلا في الدغل، ويعلق فوق فوهتها قطعة لحم، ويمرر خيط عبر حلقة توجد خلف الفوهة متصلة باللحم أسرع إليه في نهم ومسكه بفمه بقوة، وسحب اللحم مع الزناد في آن واحد، فيلقى طلقة عبر رأسه ويسقط أرضا جثة هامدة ويعود القبائلي في نهار الغد فيسلخه ويبيعه في قسنطينة⁽⁶²⁾، أحيانا يتم اصطياده عن طريق مجموعة من البنادق المتقاطعة تتضمن قطعة لحم موصولة بالبطاريات بواسطة خيوط قوية لتحديد اللعبة، الحيوان يتموضع مقابل لها لكي يسحب فريسته الأمر الذي يتسبب في انفجار قوي سيؤدي إلى مقتله.⁽⁶³⁾

(56) Dan Pierre, op. cit, p294.

(57) شلوفر فندلين ، المصدر السابق، ص103.

(58) بن عثمان خوجة، المصدر السابق ، ص85.

(59) Dan Pierre, op. cit, p57.

(60) Shaw Tomas, op. cit, p126.

(61) Daumas, op.cit , p69.

(62) Tomas Shaw, op.cit. p126.

(63) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص266.

الطريقة الثالثة: عندما يقرر أهل القرية تنظيم عملية الصيد فإنه يعلن عنها في الأسواق في أي ساعة فينطلق الفرسان والمشاة إلى الصيد، حيث يقومون بجمع السلاح والمستلزمات في مكان معين، وهم يعلمون مسبقاً أين يختبئ الأسد ويسيرون إليه، وعندما تبقى 50 خطوة من عرينه يتوقفون ويشكلون ثلاثة صفوف في العمق، الصف الثاني مستعد للهجوم بعد الأول، إذ كان هناك ضرورة النجدة، الصف الثالث يتكون من رماة ممتازين الذين يتشكلون من قوات احتياطية. في البداية يقوم الصف الأول باستعراض خارجي لإجبار الأسد على الخروج من عرينه وإطلاق بعض الرصاص إذا تطلب الأمر، أحياناً يخرج الأسد بنظرات هادئة إلى كل من حوله وكأنه لا يدري ما يجري من حوله يزأر ويدور يقف أحياناً ويجلس أحياناً أخرى عندها يتدخل الصنف الثاني مكان الأول، الأسد يتوقف عن الصراع عندما تضرب الرصاصة في رأسه أو قلبه ونادراً ما نراه يواصل صراعه وهو يحمل في جسده 10 إلى 12 رصاصة في جسده ولهذا كثير ما يترك هذا الصراع قتلى وجرحى من الرجال. يقوم الرجال بسحب الأسد إلى هضبة أو سهل، كل فارس يتقدم بحصانه إلى الساحة بخفة وجرأة ويضرب على الأسد كهدف قريب، يدير حصانه و يذهب بعيداً لتعبئة سلاحه، ويعود ليعاود الكرة من جديد، وبذلك يهاجم الأسد من كل جانب لا مجال له للنجاة، ليتقدم بعدها أشجع الرجال ويقضي عليه بطلقة بين عينيه مثلما يقوم بذلك رجال ونوغة.

الطريقة الرابعة: يقوم الصائدون بحفر حفرة كبيرة مغطاة بقش هش رقيق، والذي يسقط فيه الحيوان بثقبه ويقع بذلك في الفخ⁽⁶⁴⁾. يعتبر الأسد أصعب حيوان للصيد على الإطلاق⁽⁶⁵⁾ لذا من النادر اقتناصه حياً.⁽⁶⁶⁾

2.4 صيد الخزائير البرية:

تكثر الخزائير البرية في الغابات الكثيفة في نواحي عناية والقالا أين يتم صيدها على نطاق واسع باستخدام الخيول القوية⁽⁶⁷⁾. السكان المحليون ماهرون جداً في صيدها⁽⁶⁸⁾ حيث يقومون ببيعها للمؤسسات الفرنسية على الساحل حيث يستقطب الباستون الفرنسي الخزائير البرية التي تأتي بها الأهالي⁽⁶⁹⁾، وعن طريق الباستون يتم بتزويد المراكز الفرنسية

(64) شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص 97.

(65) Daumas, op.cit , p69.

(66) شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص 24.

(67) Shaw Tomas, op.cit. p126.

(68) شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص 97.

(69) سعد الله أبو القاسم، (1977). «عناية في رحلة الأمير موساكو 1835»، مجلة الثقافة ، العدد 38، ص 75.

الأخرى بهذا الحيوان، فهي من صالح باي مؤرخة 1773م إلى قبطان القالة يطلب منه إرسال خنزيرين ذكر وأنثى إلى وكيل طبرقة ليضعهم في الحظيرة⁽⁷⁰⁾، خاصة وأن هذه الحيوانات سريعة التكاثر في القالة ولا تتطلب جهودا كبيرة للعناية بها إذ ستترك وحدها في الأراضي المجاورة تتغذى على الجوز وبعض الجذور التي تتواجد بكثرة في نواحي القالة دون حراسة لأن الريفيين لا يستهلكونها.⁽⁷¹⁾

3.4 صيد القروود:

على طول المناطق الغابية من بجاية إلى جيجل يوجد قطعان كثيرة من القروود⁽⁷²⁾، كما توجد جبال القل كمية كبيرة من القروود المفترسة⁽⁷³⁾، تعيش هذه القروود على ما تلتقطه من الغابة⁽⁷⁴⁾، الريفيون يقومون باصطيادها لما تلحقه من أضرار بالبساتين المثمرة.

4.4 صيد الطيور

1.4.4 صيد النعام

النعام طائر وحشي طويل القامة عنقها طويلة جدا، منها ما يبلغ طول عنقها ذراعين وكذلك الساقان، جسمها ضخم وجناحها مكسوان بريش كبير لا يساعدها على الطيران، ريشها أسود وأبيض تعيش عادة في القفار اليابسة حيث لا يوجد الماء⁽⁷⁵⁾ عند صيد النعام يتم إعيائها باستخدام كلاب الصيد، ليتم بعدها استعمال الحصان في اقتناصها⁽⁷⁶⁾، حيث يركب الصائد الحصان ويجري وراء النعام بسرعة، 5 فرسان آخرين ينشرون على بعد فرسخ من

(70) أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، الرسالة 71 من صالح باي الى قبطان القالة في شأن وكيل طبرقة مؤرخة في 1187هـ الموافق 1773.

(71) Daumas, op.cit , p76.

(72) Dan Pierre, op. Cit, p57.

(73) De Tassej Laugier, Histoire de Royaume d'Alger, A Amsterdam, p120.

(74) كاربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص375.

(75) الوزان الحسن ، المصدر السابق، ج2، ص276.

(76) Jacquot Félix, (1849), Expédition du général Cavaignac dans le Sahara Algérien, 1847, Paris, Libraires Editeurs, p283.

المكان الذي ستجري فيه كل واحد يواصل مرحلة جديدة عندما يتوقف واحد، الآخر يرمي رمحه على آثار الحيوان، حيث لا يكون هناك وقت للإطلاق لذا فهم دائماً يستعملون دائماً خيولاً قوية، الصياد الأخير هو بالضرورة الفائز بالنعام، عندما تسقط فإن الفرسان يحملونها على ظهر الجمال⁽⁷⁷⁾ هناك طريقة لصيد النعام حيث يتم التردد لها في حلق الجبال وهي المناطق التي يمر بها النعام، وهناك يستبقا النعام بالرمح الذي يتبعه، لا ينجح في مطاردته إلا الفارس الماهر، أما عندما يكون النعام مصاب في أحد الساقين بالرصاص فإنه لا يمكنه الركض بسرعة، إلا على رجل واحد مما يسهل إمساكها. (78)

2.4.4 الطيور الجارحة: توجد في بلاد القبائل طيور كثيرة حيث توجد النسور بأعداد كبيرة⁽⁷⁹⁾، أما سكان الصحراء فيقبلون على صيد الصقور في فصل الربيع⁽⁸⁰⁾.

3.4.4 الطيور المهاجرة: يمارس صيد الطيور في بعض الفترات من السنة حيث يقوم الريفيون بنصب الفخاخ للحجل، السمان، الحمام والزرزور⁽⁸¹⁾، عادة ما يكون الصيد في فصل الشتاء بحيث ترتاد المرتفعات الجبلية للبايك أسراباً ضخمة من الطيور المهاجرة التي تبحث عن المناطق الباردة. (82)

5.4 صيد الطرائد

توجد الأرانب بأعداد كبيرة في الغابات والسهول ورغم أن لحم الأرانب الوحشية له نفس لون وطعم لحم الأرانب الداجنة فإن الريفيين يقبلون على صيدها ويحبون استهلاك لحومها أكثر من غيرها من الطرائد،⁽⁸³⁾ جبال القبائل مليئة

(77) Daumas, op.cit, p67.

(78) Félix Jacquot, op.cit. p283.

(79) شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص101.

(80) المصدر نفسه، ص76.

(81) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص278.

(82) Daumas, op.cit, p399.

(83) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج 2، ص268.

بوعول الجبال، هذه الحيوانات لا يمكن الحصول عليها حية بسهولة لذا فإنه إذا تم اصطيادها فإنهم يسرعون إليه في الحين لذبحه حيا⁽⁸⁴⁾، أما سكان السهول فإنهم يقبلون على مطاردة الأيول والغزلان التي تكثر في أراضيهم.⁽⁸⁵⁾

6.4 صيد المرجان

يمارس البحارة المحليون هذا النشاط على نطاق واسع في نواحي القالة، فمرجان القالة لا يوجد مثله في الأرصفة الممتدة من صقلية إلى تبسة، لذا يقصدها التجار من كل الجهات للحصول عليه، حيث يسكن القالة الكثير من العرب وعمارة أهلها على صيد المرجان لكثرت به، حيث يعمل بصيد المرجان في كل الأوقات حوالي خمسون قاربا في كل قارب حوالي عشرون رجلا⁽⁸⁶⁾. الوقت الملائم لصيد المرجان يبدأ من شهر أفريل إلى غاية شهر جويلية، في كل نقاط صيد المرجان بالقالة، الرأس الأشقر Le cap rose وجيجل، توجد بنوك صخرية رائعة تمنح أجود الشعب المرجانية كما ونوعا على طول الساحل الإفريقي، وإنهم غير مجبرين على الذهاب للبحث عنه في مسافة بعيدة حيث يوجد على عمق 54 بوصة⁽⁸⁷⁾. تنبت الشعب المرجانية كالشجر في قاع البحر، ثم يتحجر فيصطادها بآلة تدار من أعلى القوارب⁽⁸⁸⁾، هذه الآلة تسمى "انجن" وهي قطعة خشب على شكل صليب ترمى من القوارب في البحر مشدودة إلى حبل قوي، من جهة يثبت في هذه القطعة الخشبية حجر ثقيل يزود بشباك مصنوع من خيوط القطن والقنب⁽⁸⁹⁾، هذا الحجر الثقيل يتراوح سعره ما بين 40 إلى 60 جينيه مثبت في وسط عمود يساعد على هبوطه إلى عمق البحر⁽⁹⁰⁾، الشعب المرجانية تعلق بالشباك مع الكثير من التكوينات البحرية في حالة جيدة أو مهشمة. بالرغم من سيطرة التجار الفرنسيين على صيد المرجان على الساحل القسنطيني إثر امتياز قديم منحه الباب العالي 1561م لتاجرين مارسليين لاستغلال المرجان

⁽⁸⁴⁾ Pierre Dan, op.cit, p294.

⁽⁸⁵⁾ شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص103.

⁽⁸⁶⁾ مقيدش محمود، المرجع السابق، ص124.

⁽⁸⁷⁾ هابنسترايت، (2008)، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، تونس، دار

الغرب الإسلامي، ص98.

⁽⁸⁸⁾ محمود مقيدش، المصدر السابق، ص124.

⁽⁸⁹⁾ هابنسترايت، المصدر السابق، ص98.

⁽⁹⁰⁾ Peyssonnel et Desfontaines, op.cit. p 230.

في القالة⁽⁹¹⁾، ليتوسع الاحتكار غربا إلى غاية بجاية، إذ اختص الفرنسيون وحدهم باستغلال مناجم المرجان ولا يحق لأي هيئة أو قبيلة أو دولة أن تعرقل عملية الصيد، وهذا ما أدى إلى انحصار نشاط الصيادين المحليين⁽⁹²⁾ حيث أصبح نشاطهم محتشم، إذ أصبح صيادو القالة يقصدون الأرصفة البعيدة عن المركز الفرنسي بالقالة، هذا الوضع أظهر مشاكل أخرى نتيجة انتهاك الصيادين للحدود البحرية الفاصلة بين الإيالتين، فجمع سكان طبرقة كانوا في حالة سلم مع الجزائريين إلا أن أحد بحارتها أقدم على الاستيلاء على قارب صيد تابع للقالة بحجة أن هذا القارب قد اخترق الحدود البحرية المتفق عليها بين الإيالتين.⁽⁹³⁾

المرجان قاس قابل للصقل مثل الجواهر ويلمع مثل العقيق عند تعريضه للأضواء وهو أنواع عديدة: الأحمر، الأسود، الأبيض وهو الأكثر ندرة والأعلى سعرا، أما الأحمر فهو الأكثر وفرة واستخداما وهناك أيضا الوردي، وأيضا المختلط. المرجان الممتاز هو موحد اللون، قاس، ثقيل، اسطواني، لامع وبدون قشرة، عندما يصقل يصبح أجمل⁽⁹⁴⁾.

5. أهمية نشاط الصيد في إقتصاد البايك:

يعتبر الصيد من أقدم الأنشطة التي مارسها الإنسان للحصول على غذاءه، لذا فإن السكان في الريف القسنطيني لا يمارسون الصيد للتسلية فحسب بل هو مصدر معاشي هام للحوم الطبيعية والبيض والأهم من ذلك أنها مورد تجاري هام لما يوفره الصيد من الموارد الأولية النادرة والباهظة الأسعار بحيث:

يقبل الريفيون على صيد الطرائد بقوة. فبالرغم أن لحم الأرانب الوحشية له نفس لون وطعم لحم الأرانب المدجنة فإن الريفيين يقبلون على صيدها ويحبون استهلاك لحومها أكثر من غيرها من الطرائد.⁽⁹⁵⁾ في جنوب البايك يستخدم سكان الصحراء الصقور في صيد الأرانب البرية⁽⁹⁶⁾، في حين يعتبر البازي هو الطيور الجارحة الأعلى ثمنا وأجودها يستخدم

⁹¹(Dan, op. cit, p 57

⁹²(Féraud Charles, (1877), Histoire des villes de la province de Constantine, Type de L'Association Ouvrière, Vailland et Cie, Alger, p286

⁽⁹³⁾ هابنسترايت، المصدر السابق ، ص98.

⁹⁴(Féraud Charles, op. cit, p625.

⁽⁹⁵⁾الوزان الحسن ، المصدر السابق، ج 2، ص268.

⁽⁹⁶⁾المصدر نفسه، ص76.

في صيد الحجل والسمان والأرانب.⁽⁹⁷⁾ أما لحوم النعام وبيضه فهي تستهلك بشكل واسع من طرف عرب الصحراء⁽⁹⁸⁾، في حين ريشه يعتبر من أغلى المواد التجارية التي يتم تصديرها إلى أوروبا عبر الموانئ.⁽⁹⁹⁾ كما يقوم شيوخ عرب الصحراء بإهداء نعائمات يافعة يصل ارتفاعها 4 أو 5 أقدام هدية إلى أحمد باي.⁽¹⁰⁰⁾ في حين يشير أحد التقارير الذي يعود إلى 1587م إلى انتشار المتاجرة بالقروود على نطاق واسع في نواحي جيجل والقل مع التجار الأوروبيين والتي تعود بفوائد لا بأس بها على سكان المنطقة.⁽¹⁰¹⁾

من جهة أخرى شجع البايك بعض أنشطة الصيد ودعمه نظرا لعائداته الضخمة كصيد الأسود فقد كان في مدينة قسنطينة حظيرة لتربية الأسود تضمن 8 أسود فقط يبلغ طول الواحد سبع أقدام بعد إسقاط الذيل من الحساب كلها مروضة والتي كان يشرف على العناية بها الأسير فندلين شلوصر⁽¹⁰²⁾ يرسل عدد منها دوريا إلى داي الجزائر ضمن ترتيبات الدنوش⁽¹⁰³⁾. نظرا لأهمية صيد هذا الحيوان وارتفاع ثمن جلده فانه يهدى للسلطين، البايات ومرابطي الزوايا⁽¹⁰⁴⁾، أو يرسل كهدية لبايات تونس عبر ميناء القل⁽¹⁰⁵⁾، وعلى هذا الأساس منح دايات الجزائر وبايات قسنطينة حق احتكار صيد النمر والأسود بكل الأرياف الشمالية للبايك للمرابط سيدي محمد مقران ليشرف بنفسه على اختيار الجلود الأصلية من المزيفة.⁽¹⁰⁶⁾ فقد اهتم بايات قسنطينة بالحصول على جلود النمر الثمينة للغاية والنادرة، لتقدمها كهدايا للسلطين والبايات للتقرب منهم ونيل رضاهم اختصت بهذا النوع من الإنتاج أرياف جيجل وهي محتكرة من طرف الدولة ففي رسالة من حسن باي قسنطينة مؤرخة في 1749م إلى المرابط سي أحمد المكي أمقران بكلفه بمهمة احتكار صيد النمر في كل هذه المناطق، ومد نفوذه إلى الكثير من المناطق النابعة لشيخ فرحيوة مثل الحموية، أولاد

⁽⁹⁷⁾مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج1، ص111.

⁽⁹⁸⁾Daumas, op.cit, p67.

⁽⁹⁹⁾الوزان الحسن، المصدر السابق، ج2، ص277.

⁽¹⁰⁰⁾شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص101.

⁽¹⁰¹⁾عباد صالح، المرجع السابق، ص207.

⁽¹⁰²⁾شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص24.

⁽¹⁰³⁾مجهول، أخبار بلد قسنطينة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2717، ص41.

⁽¹⁰⁴⁾ Daumas, op.cit, p76.

⁽¹⁰⁵⁾الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2145، ص181.

⁽¹⁰⁶⁾ Daumas, op.cit, p76.

عنان، الريشية، الدهامشة شرق بابور وفرض عقوبات شديدة على كل معترض، على أن يشرف الشيخ بنفسه على شراء الجلود وانتقاءها حتى لا يتم التزوير، وقد تمّ التأكيد في رسالة أخرى من باي قسنطينة 1751م من أن جلد النمر هو مادة ثمينة ومطلوبة بقوة من طرف الحكومة التركية والذي يمنح كإطراء وهدية للباشا أو لسلطان القسنطينية شخصيا لنيل رضاه وفضله، ويبدو أنّ هذه التجارة تذر أرباحاً هامة على التجار الخواص الذين لا يريدون الخضوع لأوامر البايك⁽¹⁰⁷⁾، إذ عملوا على تهريب بعض الجلود أو النمر حية في حد ذاتها إلى تونس بشكل سري وبيعها بأسعار معتبرة باعتبارها مطلوبة لذا البلاط بقوة، ففي 1776م تمّ نقل نمر موضوع في قفص من القل إلى تونس حيث تم نقله من بحيرة تونس إلى باردو مباشرة.⁽¹⁰⁸⁾ كما قام بعض كبار تجار قسنطينة وبعض أتراك تبسة بتهريب هذه الجلود الثمينة وبيعها في تونس بعيداً عن أعين الباي محققين أرباحاً طائلة، حيث نجد في إحسانات قسنطينة ورود أسماء بعض التجار الجزائريين الذين كانوا يهربون جلود النمر إلى تونس حيث ورد:

1778م: تم نقل جلد صيد مدبوغ إلى تونس من طرف تاجر قسنطيني.

1781م: تاجر آخر أدخل جلد نمر من قسنطينة إلى تونس.

1783م: أحد أتراك تبسة دخل إلى تونس معه جلد صيد بدون دبغ.⁽¹⁰⁹⁾

كما يعتبر صيد المرجان من الأنشطة الاقتصادية الهامة على طول الرصيف القاري لبايك الشرق خلال العهد العثماني والذي يذر مداخيل ضخمة على البايك وعلى خزينة القسبة يعود صيد المرجان إلى ما قبل الوجود العثماني بالمنطقة، إذ كان يستغل من طرف التجار الجنوبيين الذين كان لهم مراكز على طول الساحل القسنطيني يستخدم المرجان في الاستخدامات الفنية الرفيعة كصناعة الحلّي، القلائد والأساور وأشياء فنية ثمينة، وكذلك المسابح التي تستخدم في الذكر، هذا الاستعمال الواسع جعل هذه المادة تشكل جزءا كبيرا من تجارة البايك.⁽¹¹⁰⁾ من جهة أخرى حاول الباستون الفرنسي وفروعه بعث تربية الخنازير وجعلها فرعا جديدا من تجارته على الساحل القسنطيني لذا فإن مؤسسة الباستيون

¹⁰⁷(Féraud Charles, (1869), «Exploitation des fortes de la krasta dans la Kabylie oriental», R.A, V13, p152.

¹⁰⁸الأرشيف الوطني التونسي، الدفاتر الإدارية والجباية، الدفتر 2145، إحسانات مقدمة لأهل القل.

¹⁰⁹المصدر نفسه، إحسانات أهل قسنطينة وتبسة.

¹¹⁰(Féraud Charles, Histoire des villes de la province de Constantine, p286.

كانت تتطلع أواخر العهد العثماني إلى تمليح وتجفيف من 2000 إلى 3000 خنزير سنويا الأمر الذي سيعود بفوائد جمة على الشركة الإفريقية والتي قد تفوق عائدات المرجان نفسها، بالإضافة إلى أنها قد تؤمن اللحوم و بسعر منخفض.

(111)

6. خاتمة:

من هذا المنطلق يمكن القول أن الريفيين يستخدمون عدة وسائل في الصيد هي الخيول في صيد النعام والخنازير، كما يستخدمون الفخاخ والأسلحة لاصطياد الأسود والنمور والطرائد، أما الكلاب فتستخدم في حراسة الدجاج من الثعالب وحماية الدواوير من هجمات الأسود المفاجئة فالصيد لا يمارس للتسلية فحسب، بل هو مورد أساسي للحوم الطبيعية، فهي مورد اقتصادي هام لما يوفره الصيد من الموارد التجارية النادرة المطلوبة بشدة وبأسعار باهظة مثل: المرجان، جلود النمور والأسود، ريش النعام، لحوم الخنازير كلها مواد تجارية تباع للمؤسسات الفرنسية على الساحل بأسعار خيالية.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية،(1773)، الرسالة 71 من صالح باي إلى قبطان القالة في شأن وكيل طبرقة.
2. الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر 2145،(أواخر القرن 18)،إحسانات مقدمة لأهل القل، أهل قسنطينة وتبسة الدفاتر الإدارية والجبائية ، تونس، الأرشيف الوطني التونسي.
3. الدفاتر الإدارية والجبائية ، الدفتر 2145، (أواخر القرن 18)، تونس، الأرشيف الوطني التونسي.
4. القشاعي فلة، السنة الجامعية (1989-1990م). النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر.
5. المدني أحمد توفيق،(1984). كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
6. بن عثمان خوجة حمدان،(1985). المرأة، ط3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
7. الوزان الحسن، (1983)، وصف إفريقيا، ج2، بيروت ، دار الغرب الإسلامي.

8. حليمي عبد القادر، (1968). جغرافية الجزائر، الجزائر ، مكتبة الشركة الجزائرية مرآة، ط1.
9. دumas، (2013) ، الصحراء الجزائرية، ترجمة: قندوز عباد فوزية، الجزائر ، دار غرناطة للنشر والتوزيع.
10. سعد الله أبو القاسم، (1977). «عناية في رحلة الأمير موساكو 1835»، مجلة الثقافة ، العدد 38.
11. شلوصر فندلين، (2007). قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837م)، الجزائر. وزارة الثقافة.
12. عباد صالح، (2012). مدخل إلى تاريخ جبل المدينة والمنطقة، قسنطينة، الألفية للنشر والتوزيع.
13. فلنزي لوسات ، (1980) . المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790-1830م)، ترجمة: إلياس مرقص، بيروت، دار الحقيقة، ط1.
14. مارمول كاربخال، (1989) . إفريقيا، ج2، بيروت، دار المعرفة للنشر .
15. مجهول. أخبار بلد قسنطينة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2717.
16. مقيدش محمود، (1988). نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، بيروت ، دار الغرب الإسلامي.
17. هابنسترايت، (2008). رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، تونس، دار الغرب الإسلامي.
18. Aperçus historique, (1830), Statistique et Topographique sur L'Etat D'Alger, Paris, Typographie, J. pinard imprimeur Du Roi.
19. Bernard Augustine, (1921), Enquête Sur L'Habitation Rurale Des indigènes de L'Algérie, Alger imprimerie orientale Fontana frères.
20. Carette et Wernier, (1847), Description et division de L'Algérie, Paris librairie de L.Hachette.
21. Dan Pierre, (1646), Histoire de la Barbarie et ses corsaires (Alger – Tunis Salé – Tri poly), Paris, Deuxième édition.
22. Daumas, (1853) Mœurs et coutumes De L'Algérie Tell-Kabylie, Sahara, Paris librairie De La Hachette.

23. De Tassey Laugier, Histoire de Royaume d'Alger, A Amsterdam.
24. Féraud Charles, (1977) «Exploitation des fortes de la krasta dans la Kabylie oriental», R.A, V13.
25. Féraud Charles, (1877), Histoire des villes de la province de Constantine, Type de L'Association Ouvrière, V.Arlland et Cie, Alger.
26. Jacquot Félix,(1849), Expédition du général Cavaignac dans le Sahara Algérien 1847, Paris, Libraires Editeurs.
27. Mercier Ernest, (1888), Histoire de l'Afrique Septentrionale de puis les temps les plus reculés jusqu'ou la conquête française 1830, Paris.
28. Peyssonnel et Desfontaines, (1838), voyages dans les régences de Tunis et D'Alger, Paris, Librairie De Cid.
29. Rouboult Marcel, (1934), La Kabylie de Collo (Étude Géologique), Alger, Descriptions régionales, Bulleur du service de la carte Géologique de L'Afrique.
30. Shaw Tomas, (1830), Voyage dans la régence d'Alger, Paris, Merlin édition.
31. Vialatte Paul, (1879), Des impôts Directs en Algérie et principalement Dans la province de Constantine, Constantine, imprimerie, L. Marle.